

التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم

Economic Empowerment in The Holy Qur'Ēn

صفية شمس الدين²

sofiahs@iium.edu.my

مريم داوود أحمد¹

marina_ruun@hotmail.com

ضوان جمال الأطرش³

radwan@iium.edu.my

ملخص البحث:

إن الاقتصاد في منظور القرآن يقوم على أساس المعيارية، وليس فقط السلوك الاقتصادي. ولهذا نلاحظ أن القرآن في دعوته إلى تنمية الاقتصاد، يحرص على التكامل الوظيفي بين خط القيم وجميع الممارسات الاقتصادية، التي شرعها الإسلام. ومن هنا، فإن مرجعية الرؤية الاقتصادية تستمد روحها وقيمها وأحكامها من الشريعة الإسلامية، النازمة للخط الاقتصادي بشكل جوهري. وبناءً عليه، فإن السلوك الاقتصادي مؤطر بضوابط التشريع الإسلامي، ومنطلقاته وأهدافه الاستخلافية الكبرى، فهو ليس دعوة للنفع والكسب، وتحقيق التضخم المالي والطبقية؛ بل هو دعوة لممارسة الإعمار وفق مبادئ الحق وسننه وتنمية الاقتصاد، وتحقيق الاكتفاء الذاتي وفق خط القيم، ولقد تناول البحث دعوة القرآن إلى تنمية الاقتصاد، وتقوية الاستثمار لتحقيق قوة اقتصادية كبرى من خلال وضع الكثير من الخطط الاقتصادية، التي تسهم في تحقيق هذه القوة، وتنميتها وتعزيزها من خلال الحديث عن آليات التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم وإحكام الخطة الاقتصادية، والتكافل الاجتماعي ووسائل تحقيقه، حتى يصبح المجتمع الإسلامي يمتلك

¹ طالبة الدكتوراه في القرآن والسنة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

² أستاذة مساعدة في قسم القرآن والسنة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

³ أستاذ مشارك ورئيس قسم القرآن والسنة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

حصانة اقتصادية. ووصولاً لما يصبوا إليه هذا البحث، انتهج الباحث منهجين: المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع النصوص والآيات القرآنية، التي تحدثت عن التمكين الاقتصادي، والمنهج التحليلي لدراسة وتحليل مفهوم التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم، وكيفية إحكام الخطة الاقتصادية، والتكافل الاجتماعي ووسائل تحقيقه، وختم البحث بأهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: التمكين الاقتصادي، التكافل الاجتماعي، إحكام الخطة الاقتصادية.

ABSTRACT

Economy in Qur'anic perspective is not just an economic performance, rather it based on standards. That is why, it is noticed that whenever the holy Qur'an discusses the economic development, it is highly keen on functional integration between the values and all other economic practices initiated by Islam. Hence, the reference of the economic vision derives its spirit, values, and provisions from Islamic law that regulates the economic line substantially. Accordingly, the economic behaviour is framed by Islamic legislation, as well as its starting points and its major objectives. Economy in Qur'anic perspective is not It is not about profit and loss, and inflation and stratification achievement only. However, it calls to practice reconstruction based on the principles of truth and its norms, and achievement of a valuable plan for self-sufficiency. This paper investigates the Quranic perspective on economic development, and investment strengthening, in order to achieve a major economic power through the development of some economic plans that will contribute to its achievement, its development, and strengthen it by looking into the way Quran discusses mechanisms of economic empowerment and strengthen the economic plan, social solidarity, and the means to achieve it so that the Muslim community has another immunity in the economic plan. In order to achieve the objectives of this paper, the paper adopts two methodologies; Inductive method to gather the Quranic verses that talks about economic empowerment. And analytical method to study and analyse how economic empowerment, strengthening of economic plan, achievement of social solidarity, and the means to achieve it discussed in the Holy Quran. The paper concludes with some important recommendations.

Keywords: Economic Empowerment, Social Solidarity, Economic Plan

مقدمة:

إن القرآن في دعوته إلى تحقيق الخلافة عن الله في الأرض، يعني إحياء الأرض واستثمارها وتعميرها واستغلال منافعها ومقدراتها، وتحقيق هذه العمارة من خلال منهج العبودية، التي تتم في إطار حركة العمل الصالح؛ الذي ينشده القرآن في حركته الدائبة، نحو تأسيس منظومة القيم الكونية، وتفعيلها في الواقع. ومن ثم، التفاعل الإيجابي مع الكون، واستثمار مدخراته والتحكم في سننه وقوانينه قصد تحقيق النفع العام، وإرساء قواعد الحق، والاستفادة من سنن التسخير من غير عبث ولا إسراف يخل بمبادئ الحق، ونظام الحياة الذي يريده الله. وبناءً عليه، فإن حركة الاقتصاد في القرآن تستمد أسسها ومنطلقاتها وأهدافها من واجب الإعمار والاستخلاف. وبالتالي، فهي موصولة بمنظومة القيم، وترتبط أساساً بخط العبودية، إذ تتم في هذا الإطار، ذلك أن جميع الممارسات الاقتصادية، هي جزء لا يتجزأ من هذه المنظومة المتكاملة الأبعاد. وتهدف إلى تحقيق مرضات الله من خلال حركة عمرانية، تقوم على مبادئ الوحي ومنهجه، وتحقيق هذه المعادلة بالعلم والإيمان والعمل الصالح، بعيداً عن الظلم والإفساد والاستغلال المقيت والعنصرية، وقد جمع الله هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿وَالْيَ تُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا﴾ [هود:61].

وفي ظل منهج العبودية ينسج المسلم جميع التصرفات الاقتصادية، والمعاملات المالية، وكل حركة لا تتخذ من هذا الأساس منطلقاً لها، لا تكون تعميراً للأرض. إن الفساد في جوهره ضد الصلاح، وهكذا يعلم المسلم أن سعيه في الحياة وحركته في استثمار الطاقات الطبيعية ينبغي أن يكون وسيلة لتحقيق النفع والخير. ومن ثم، فإن النشاط الاقتصادي في الإسلام تحكمه محددات منهجية، وضوابط تشريعية، تؤطر السلوك الاقتصادي، وتوجه جميع أنشطته وفق هذا المنظور. وعليه، فقد نظم الإسلام الحياة الاقتصادية في إطار هذه الأصول الثابتة؛ التي تعتبر بمثابة الإطار المرجعي في بناء نظرية اقتصادية متكاملة. وقد وضع القرآن الكثير من الخطط التي تسهم في تحقيق هذه القوة الاقتصادية، إضافة إلى القيم التي تعطي حصانة معنوية للأمة. ولهذا نلاحظ أن القرآن حرص في خطابه على استخدام عبارات مثل: الإعمار، العمارة،

استعمار الأرض، وغيرها للدفع بعجلة التنمية الاقتصادية، وضبط هذه القوة حتى يتكامل عناصر التطور الحضاري، وتنمية جميع الروافد التي تعزز الاقتصاد؛ بما يحقق التوازن المطلوب بين المصالح الذاتية والاجتماعية بشكل أوسع.

1: دعوة القرآن الكريم الى تحقيق التمكين الاقتصادي:

من الجدير بالملاحظة، أن التمكين الاقتصادي في القرآن منطلقه الإيمان بالله، وقد كان هذا الشعار هو المشترك الدعوي بين جميع الأنبياء عليهم السلام، صدق الله إذ يقول: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59]. ومن هذا المنطلق، رفع شعيب عليه السلام شعار الإصلاح في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]. فقد بعثه الله لمعالجة الانحراف الاقتصادي، وخاصة قضية التطفيف في الكيل والميزان، الذي صورته عدل وميزان، وباطنه استيلا ب وأكل لأموال الناس بالباطل. ومن هنا، فإن البعد الإيماني هو الأساس الذي يقوم عليه النشاط الاقتصادي، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59]. وبعد تأسيس هذه القاعدة، يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85]. ومن هذه الزاوية، فإن الإيمان بالله، ينشئ ملكة الضمير، ويحي القلب، ويحرك دواعي المراقبة، كل ذلك خشية م عذاب الله عز وجل، وبهذا يكون بمثابة الميزان الذي تعصم البشرية به من نزغات الشياطين، ومن ضلالات الأهواء، وانحرافات والسلوك.

ومن هنا، فإن الله سبحانه وتعالى، يبين لنا أن عنصر المال ليس اجتهاداً للبشر لكي ينظروا إلى مصالحهم، ويأخذوا السبيل الذي يروونه محققاً له؛ بل هو في أوجه اكتسابه وفي طريقة إنفاقه، وفي كل ما يترتب عليه من حقوق، وما ينبي عليه من معاملات وعقود مبني على ما جاء في الكتاب والسنة من الأحكام، لكونه مؤطر بضوابط التشريع، يقول تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]. وكما جاءت الآيات مفصلة في الرهن والبيع والشراء، جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تبين هذه

المعالم في نصوص كثيرة لا يتسع المقام لذكرها. وقد أشار القرآن إلى تلك الكليات في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188]، والنبي ﷺ يقرن ذلك بالحساب الأخروي، يقول عليه السلام: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»⁴. ومن المهم أن نقول، أن الإسلام ينظر إلى مصلحة الأمة في مجموعها، حتى المال الذي يخصص له مجموعة من الضوابط والأحكام، للحفاظ على المصلحة العامة للمجتمع، يقول تعالى في هذا الصدد: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]. ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: 5]. ويخبرنا النبي ﷺ بتفصيل الحكم بالحجر على السفهاء؛ لأنه يبدد ماله، لكنه مع ذلك يبدد ثروة الأمة، ويبدد المصالح العامة، وينتهك الآداب التي تجعل لكل شيء مقامه وقدره وقيمتها⁵.

2: التمكين الاقتصادي مظهر استخلافي:

قبل أن نتحدث عن التمكين الاقتصادي كمظهر استخلافي نعرف التمكين أولاً.

إن المتتبع في المعاجم اللغوية يرى بأن التمكين مأخوذ من الفعل مكن، ومنه نقول: مكنته من الشيء وأمكنته منه، فتمكّن منه واستمكن. ويقول المصارع لصاحبه: مكّني من ظهرك، وأما أمكنني الأمر فمعناه أمكنني من نفسه. وهو مكين عند السلطان، وهم مكناؤه عنده، وقد مكن عنده مكانة، وهو أمكن من غيره. وضبة مكوّن: بيوض، وقد مكنت وأمكننت. وأكل ويقول البدوي: أما والركن والباب، إني لأحب

⁴ محمد بن عيسى، سنن الترمذي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395 هـ - 1975 م)، باب في القيامة، ج4، ص: 612.

⁵ علي بن عمر، دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>).

مكن الضباب. وهذه مكنة الضبة ومكنة الضبة ومكناتها، ومن المجاز: " أقرّوا الطير على مكناتها ": استعيرت من الضباب للطير، ثم قيل: الناس على مكناتهم: على مقارهم⁶.

أما في الاصطلاح: يرى محمد الطاهر بن عاشور التمكين جعل الشيء في مكان، وهو يطلق على الإقدار على التصرف، على سبيل الكناية، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الانعام: 6] أي جعلنا لكم قدرة، أي أقدرناكم على أمور الأرض وخولناكم التصرف في مخلوقاتنا، وذلك بما أودع الله في البشر من قوة العقل والتفكير التي أهلتها لسيادة هذا العالم والتغلب على مصاعبه، وليس المراد من التمكين هنا القوة والحكم كالمراد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: 84] لأن ذلك ليس حاصلًا بجميع البشر إلا على تأويل⁷.

وعرف أيضاً ابن عاشور أن التمكين: هو إعطاء المكنة (بفتح الميم وكسر الكاف) وهي القدرة والقوة. يقال: مكن من كذا وتمكن منه، إذا قدر عليه. ويقال: مكنه في كذا، إذا جعل له القدرة⁸.

يجدر بنا أن نؤكد أن التمكين لدين الله في الأرض، يتحقق بواسطة إنشاء مجتمع الاستخلاف، هذا الأخير الذي ينضبط وفق معادلة الإيمان والعمل الصالح، يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: 55]، ويسير على المنهج الإلهي، حتى تترقى جهود الأمة في نطاق الصالحات، وتتطهر في إطار منهج التزكية. ومن هذا المنطلق، تعتبر الوظيفة الاستخلافية، هي القيمة الكبرى؛ التي تؤطر حركة الإنسان في الكون من أجل الإعمار والبناء. فقد ضبط القرآن حركة

⁶ محمود بن عمرو، الزمخشري، أساس البلاغة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ - 1998 م)، ج 2، ص 223.

⁷ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج 8، ص 33،

⁸ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج 26، ص 52.

الخلافة وفق منهج الله لتحقيق الصلاح في الكون. وبهذا يتحقق المقصد الأسمى من الوجود. ذلك أن عمارة الأرض بعناصر الإيمان والصلاح هو جوهر العبودية، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وتحقيق التمكين فيها، ومن هنا، فإن مهمة الاستخلاف تقتضي تعمير الأرض على الخط المادي والمعنوي، وهذا يتحقق من خلال التمكين الاقتصادي بمختلف ممارساته التي شرعها الإسلام. وتحقيق التكامل الوظيفي بين المصالح الذاتية للأفراد والمصالح العامة؛ التي تنتظم تحت إطار الأمة بشكل عام، وتشجيع عناصر الخير، وتحقيق التكافل ونشر العدل بين الجميع، وهو من أعظم الأهداف، التي تقوم عليها فلسفة الإسلام الاقتصادية.

وبناءً عليه، إذا كان المقصد العام هو عمارة الأرض، وتحقيق الصلاح، والمحافظة على النظام العام، وتحقيق التمكين الاستخلافي، يصلح بصلاح القوامين عليه، فإنه من الضروري أن تنضبط مهمة التعمير بضوابط القيم التي تحفظ جميع المعاملات الاقتصادية. واستثمار جميع الخيرات لتحقيق النفع والشراء في الأمة، حتى تبلور جهودها في نطاق هذا المنهج لتحقيق قوة اقتصادية منضبطة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، ولا تكون الأمة عالّة في عيشها على غيرها، وتابعة لمنتجات غيرها، خاصة وأنها الأمة القائدة للخير، فيجدر بها أن تكون تابعة لا متبوعة للغير. وما لهذا الإتيان من هيمنة الغير عليها، وعلى مقوماتها الحضارية، وثرواتها الطبيعية والمادية. هذا ما يوضحه الهدي النبوي بقوله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ، حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُمَا جَمِيعاً؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا بَلَاغٌ إِلَى الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ عَلَى النَّاسِ⁹. ومن ثم، تحقيق العزة، ورفع المستوى الحضاري في عملية البناء والتمكين. فمن غير المعقول أن تأكل الأمة من فئات موائد الغير، وهي تملك مقومات النهوض والإعمار، بل تحتاج فقط إلى تفعيل الإرادة الحضارية والمشاركة في صناعة الفعل الحضاري. ومن هنا، نصل إلى أن الهدف الأساس الذي يسعى إليه الإسلام هو تحقيق اقتصاد قوي، والانتفاع بجميع الموارد الطبيعية والمالية في الخير والصلاح، ويتم ضمن

⁹ زين الدين محمد، فيض القدير شرح الجامع الصغير (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1356هـ)، ج5، ص: 364.

ضوابط التقوى؛ التي بدورها توظف حركة المسلم في وجهته التعبديّة وجميع ممارساته في نطاق الممارسات الاقتصادية.

وقد رغب النبي محمد ﷺ في تنمية عناصر الثروة في سلسلة من الأحاديث منها: نهيّه عن التبطل وسؤال الناس، كما جاء في صحيح البخاري: «عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ يَخْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُرْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْتَنِعَهُ»¹⁰ وفيه: عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرٍ غَنَى وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» قَالَ: قُلْتُ: مَا قَوْلُهُ عَنْ ظَهْرٍ غَنَى؟ قَالَ: «لَا تُعْطِيَ الَّذِي لَكَ وَتَجْلِسُ تَسْأَلُ النَّاسَ»¹¹ كلها أحاديث ترغب في الكسب وتحصيل الثروة والعمل الجاد لتنمية الاقتصاد. إن الدعوة إلى التنمية الاقتصادية في القرآن، تنبثق من تمكين الإنسان في الأرض واستخلافه عليها، وقد سخر جميع مواردها، وذلّل له الصعاب؛ بل في سبيل هذا الأعمار. سخر الله للإنسان ما في السماوات وما في الأرض جميعاً قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجنّة: 13]. وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمار وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته¹². فما دامت السماء والأرض وما فيها مسخر للإنسان فالمطلوب منه الاستفادة من خيراتها بالوجه المشروع وعلى الطريقة التي يؤدي بها المهمة الموكلة إليه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، قال ابن كثير: في الآية

¹⁰ محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح

البخاري (مصر: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج3، ص: 57.

¹¹ أبو بكر عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق الصنعاني (الهند: المجلس العلمي، ط2، 1403)، ج9، ص: 75.

¹² عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مرجع سابق)، ص: 776.

تذكير بنعمته تعالى على خلقه في تسخير له الأرض، وتذليله إياها لهم، بأن جعلها ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياً فيها من المنافع، ومواضع الزرع والثمار. والمعنى: سافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها، في أنواع المكاسب والتجارات¹³. إن هذا التمكين يتم في إطار خطة اقتصادية محكمة في جميع جوانبها، وتتكامل حلقاتها في نطاق القرآن. وقد ربط الحركة الاقتصادية بضوابط المنهج، لأن الغرض هو تنمية الاقتصاد في نطاق هذه المبادئ التي تحقق الصلاح في الأرض وتمكين الحق فيها، فهي استعمار في الصلاح، ولا يجوز إتلاف هذه الموارد في نطاق المحرمات، أو إفسادها في العبث بمقدرات الكون وطاقاته وثرواته الطبيعية.

وتأسيساً على هذا الكلام، فقد أصبح العمل عبادة في أقصى حالاته، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، يقول إسماعيل حقي: "لا جناح عليكم في الانتشار بعد ما أدبتم حق الصلاة وابتغوا من فضل الله أي الربح يعني اطلبوا لأنفسكم وأهلكم من الرزق الحلال بأي وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة"¹⁴. ورد عن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً: «طلبُ الحلالِ جهادٌ، وإنَّ الله عز وجل يحبُّ العبدَ المخترِفَ»، وفي رواية: «إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذَنْباً لَا يُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَلَا الصِّيَامُ وَلَا الْحَجُّ وَلَا الْعُمْرَةُ. قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال «الهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ». فكل ما في الأرض من خيرات وفضل ورزق من الله سبحانه وتعالى، خلقها الله ليستفيد الناس منها وصرفها على الوجه الذي يرضي الله دون اسراف ولا تقتير ولا ترك لفريضة ولا نسيان لذكر الله وشكره على النعم.

¹³ محمد جمال الدين، محاسن التأويل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 هـ)، ج9، ص: 292.

¹⁴ إسماعيل حقي، روح البيان (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ج9، ص: 524.

3: آليات التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم

إذ كانت عمارة الأرض مطلب عظيم في القرآن، فإن هذا المطلب هو مسؤولية مشتركة بين جميع أبناء الأمة، ويجب على كل فرد تحقيقه، وأدائه على أكمل وجه، وأي إخلال بهذه المسؤولية الأخلاقية هو إخلال بمقومات الإسلام ومبادئه. ذلك أن الخلافة هي من أقدس الواجبات، وأجل الغايات وأسمائها، وقد ربط بين الدور الاستخلافي واليوم الآخر، في قوله عليه السلام: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدٍ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»¹⁵، ويقول أيضاً: «من بنى بُيْتَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ، أَوْ غَرْسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انتفع بِهِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»¹⁶ فهذان الحديثان، يؤكدان أهمية البعد الاقتصادي، وعلاقته بالحركة التعبدية والسعي المستمر للتعمر والبناء، وصناعة الحركة الإيجابية، والتأكيد على العلاقة الوظيفية بين العمل والكسب ومسؤولية هذا السعي في ميزان الآخرة. إن هذا الربط له دلائل منهجية تعطي اهتماماً كبيراً بالجانب الاقتصادي، وجعله جزءاً لا يتجزأ من الممارسات التعبدية التي أنيط بها المسلم. ذلك أن غرس الفسيلة هنا، ليس الهدف منها تلبية الحاجة الاقتصادية، وإنما تحقيق البعد الاستخلافي وواجبات العمارة في مفهومها العبادي الذي أراده القرآن الكريم. والتأكيد على مفهوم القيمة في جميع الممارسات الاقتصادية، ومن هنا، فإن الدافع للتعمر هو الإيمان في أرقى صوره. وهو العنصر الفاعل في التعمر المادي وتحقيق النفع لخدمة الإنسانية جمعاء.

ومن الجدير بالملاحظة، أن القرآن ربط الخيرات الإلهية وتسخيرات السماء والأرض بمفهوم الإيمان والتقوى، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمَّنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: 96-97]، فهذه الآية الكريمة تدل على مفتاح النصر

¹⁵ عبد الحميد بن حميد، المنتخب من مسند عبد بن حميد (القاهرة: مكتبة السنة، ط1، 1408 - 1988)، ص: 366.

¹⁶ أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م)، ج24، ص: 382.

والتوفيق والفتح في باب الأرزاق، وتقرر أن هناك تعمير يتحكم في العملية الاقتصادية، ومفتاحه الإيمان والتقوى، والعمل بمنهج الله وضوابط استقامة الحركة الاقتصادية في واقع الأمة، وهذا لا يكفل الفلاح الأخرى فحسب؛ بل والديني أيضاً، ومن هنا وضع القرآن الكثير من التشريعات؛ التي تعتبر بمثابة الآليات الفاعلة في إحكام الوجهة الاقتصادية، وتسديدها نحو خدمة أهداف الأمة الكبرى ووظيفة التعمير والبناء وفي الوقت ذاته جعل القرآن البعد الإيماني ضماناً كبرى وطاقة استغلال تضبط المسار الاقتصادي وتجعل التنافس إيجابياً، وليس أداة لهدر الطاقات والنهب والاستغلال الخبيث للمقدرات، وتعبيد الناس وإذلالهم واحتقارهم، وقد أشار القرآن إلى ضوابط التمكين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، فكل سعي في الحياة يتم في نطاق الإيمان بالله، وضمن أبعاد التقوى الإلهية، وتأدية الصلاة والزكاة وممارسة وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتأطير حركة الاقتصادي في مجالها المشروع ووفق الهدي المستقيم.

أولاً: إحكام الخطة الاقتصادية

تكتسب الشؤون الاقتصادية، وقضايا المال ونظام المعيشة، أهمية خاصة في الشريعة الإسلامية، نظراً لأهميتها في حياة الانسان، وعليه، فإن التمكين الاقتصادي لا يتحقق مالم يتم على خطة ممنهجة يستند عليها الاقتصاد، تثبت معالمه وأخلاقيته من خلال القوانين والأحكام، والمفاهيم المتعلقة بالعمل والإنتاج والانفاق والاستهلاك، حتى يتحقق التمكين الاقتصادي، وقد ذكر لنا القرآن الكريم الآليات التي يدور عليها الاقتصاد:

- 1- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله، ومثال ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

- 2- الترهيب والتخويف من البخل وكنز المال: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة: 34، 35].
- 3- التحذير من الإسراف والتنبية إلى التوسط: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ [الإسراء: 27]، ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ [الإسراء: 29]، ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ [الفرقان: 67].
- 4- إثارة الأقرب فالأقرب والأحوج فالأحوج: ﴿يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ [البقرة: 215]، ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ [المعارج: 24، 25].
- 5- اللين في الرد عند الاعتذار: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا﴾ [الإسراء: 28].
- 6- التنزه عن المن والأذى عند العطاء: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ [البقرة: 264].
- 7- ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى وطيب النفس بالنفقة: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ [البقرة: 265]، ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ [التوبة: 54].

8- افتراض الزكاة على القادرين لتنفق في وجوه من ضروريات الإصلاح الاجتماعي: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60].

9- الإشادة بفضل الإيثار والتطهر من الشح: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوْقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]، ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: 8، 9].

10- تفضيل السر على العلانية إلا لحكمة: ﴿إِنْ تَبَدَّوْا الصَّدَقَاتُ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271].

ولا شك أن لهذه السياسة أثرها البالغ في صلاح المجتمع، وتحقيق معنى التكافل والعدالة واستقامة الأوضاع فيه، ولا شك أن من لاحظها وأنفق مما رزقه الله في حدود قواعدها مع إقامة الصلاة والتحقيق بالإيمان يصبح من خيار المتقين. وعليه، فإن القرآن بسياسته هذه في الإنفاق قد أقام الاقتصاد على المزج بين أصليين أولهما: الاعتراف بمواهب الفرد، وحقه ما دام يكتسب من حلال طيب لا إثم فيه ولا عدوان، وهذا هو الأساس الذي قام عليه النظام؛ الذي يسمونه في هذا العصر بـ (الرأسمالية) وهو وحده لا يؤدي إلى صلاح المجتمع، أو استقرار الأمور بين الناس على وفاق وصفاء، فكان لا بد من المزج بينه وبين أصل ثانٍ وهو تقرير حق المجتمع في كسب الفرد، ووجوب التكافل بين أبناء الأمة الواحدة، وهو الأساس الذي قام عليه النظام الذي يسمونه في هذا العصر بـ (الشيوعية) وهو وحده لا يؤدي كذلك إلى صلاح المجتمع أو استقرار الأمور فيه بين الناس. فكان لا بد من المزج بينه وبين الأصل الأول، فجاء نظام القرآن بهذا المزج بين أفضل ما في النظامين، وقدمه للناس سائغا في صورة (اشتراكية معقولة) عمادها تقديس الأخوة،

وروحانية العاطفة، وحب الخير، والإيمان بالجزاء في الدنيا والآخرة، وليس ذلك فحسب فإن من النفوس من لا تهزه هذه النواحي وحدها¹⁷.

ثانياً: التكافل الاجتماعي

كما قرب الإسلام بين الطبقات، بحيث ضاقت الشقة بين الثروة والفقر إلى أقصى حد. فمن حيث الأغنياء حدد أمامهم أبواب الكسب، وفتح لهم أبواب الإنفاق، وفرض عليهم الزكاة، وحرم الربا، وحيل بينهم وبين الترف، ولم تعتبر ثروتهم في عرف المجتمع الإسلامي مظهراً من مظاهر التميز والاستعلاء، وأنذروا بأشد الوعيد في الدنيا والآخرة إذا لم يؤدوا حق الله والناس في المال. ومن ناحية الفقراء، رفع عنهم معنى النقص الاجتماعي بسبب الفقر، وفرض عليهم العمل، وفتح أمامهم أبوابه، وجعلوا عند العجز في ضمان الأقرباء أولاً، والأغنياء ثانياً، وبيت مال الدولة ثالثاً، وتقرر بالتشريع حقهم المعلوم في أموال الأثرياء، ثم ألزمت الدولة بعد ذلك بملاحظة هذا التوازن والمبادرة إلى المحافظة عليه كلما عرضت له عوارض الاختلال، ووضعت في يدها كل السلطات التشريعية والتنفيذية اللائقة لإصلاح الحال، وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: 82]¹⁸.

وهكذا نجد أن المبادئ الاقتصادية التي جاء بها الإسلام إلزاماً لكل المسلمين في سائر العصور، يقول تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7] ونحوها من النصوص العامة؛ التي تقر بعض المبادئ كمبدأ الحرية المقيدة بالضوابط العامة، ومبدأ تحقيق التوازن الاقتصادي، ومبدأ الملكية الخاصة، ومن الأصول العامة أيضاً: حق الإنسان في التملك، وحرمة الاعتداء على مال الغير، وإباحة الانتفاع بما في الأرض، وتحريم الربا والميسر والظلم وغيرها، فهذه مبادئ ثابتة غير قابلة للتغير، ويخضع لها بغض النظر عن درجة التطور الاقتصادي والعصر الذي يحيون فيه.

¹⁷ انظر: حسن أحمد، نظرات في كتاب الله (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1423 هـ - 2002 م)، ص: 184.

¹⁸ انظر: انظر: حسن أحمد، نظرات في كتاب الله (مرجع سابق)، ص: 184.

وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي والاقتصادي

من الآليات المهمة لتحقيق التكافل بين أفراد الأمة ضرورة التركيز بعض الصور التكافلية الداعمة للحركة الاقتصادية وضمان عنصر التكافل، وتحقيق اللحمة الاجتماعية نذكر منها: **الزكاة**، وهي عبارة عن خروج المال من يد، وانتقالها إلى يد أخرى تنتفع بها وتتصرف فيها، وأن ذلك كله منضبط بالأصول العامة المستخرجة من القرآن والسنة، وعليه، فإن الزكاة جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي، ووسيلة من وسائل تحقيق التكافل، وهذه الكفالة في الإسلام لا تقتصر على الزكاة بل تتحقق بأمر أخرى أيضاً، كالصدقة، والوقف، والفيء والغنيمة وعطايا بيت المال. ومن ثم، فإن المجتمع الإسلامي ينهض بأفراده جميعاً الأغنياء والفقراء، فيحث الأغنياء على البذل والعطاء، ويلزمهم بقدر واجب زكاة لأموالهم، ويحقق الكفاية للفقراء والمحتاجين والعاجزين عن العمل. ولهذا جعلت الشريعة الزكاة فرضاً وركناً من أركان الإسلام وحثت على الصدقة والوقف والوصية، وجعلت الفقراء مصرفاً من مصارف الزكاة والكفارة والفدية، ككفارة الظهار واليمين والصوم، وفدية الحج، حتى تضيق دائرة الفقر في المجتمع المسلم¹⁹.

القرض: يعتبر القرض من محاسن الشريعة، كما أن تحريم الربا من محاسنها. قال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: 17]، جاء في تفسيرها: "إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يعني: صادقاً من قلوبكم. يضاعفه لكم يعني: القرض يضاعف حسناتكم. ويقال: يضاعفه لكم يعني: الله تعالى يضاعف القرض لكم، فيعطي للواحد عشرة. إلى سبعمائة، إلى ما لا يحصى. ويغفر لكم يعني: يغفر لكم ذنوبكم. والله شكور يعني: يقبل اليسير ويعطي الجزيل"²⁰. وقال أيضاً: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضاعفه له أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245]، يقول الطبري في تفسيرها: "من هذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين مضجعاً، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقتراً؟ وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه، وإنما سماه الله تعالى ذكره "قرضاً"، لأن معنى

¹⁹ محمد صالح المنجد، (موقع الإسلام)، 15 نوفمبر، 2009 م، <http://www.islamqa.com>.

²⁰ نصر بن محمد، بحر العلوم (د. د، د. ط، د. ت)، ج3، ص: 458.

"القرض" إعطاء الرجل غيره ماله ملكا له، ليقضيه مثله إذا اقتضاه. فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة، سماه "قرضا"، إذ كان معنى "القرض" في لغة العرب ما وصفنا. وإنما جعله تعالى ذكره "حسنا"، لأن المعطي يعطي ذلك عن ندم الله إياه وحثه له عليه، احتسابا منه. فهو لله طاعة، وللشياطين معصية، وليس ذلك لحاجة بالله إلى أحد من خلقه، ولكن ذلك كقول العرب: "عندي لك قرض صدق، وقرض سوء"، للأمر يأتي فيه للرجل مسرته أو مساءته²¹. وعليه، فإن قرض المرء: ما سلف من صالح عمله أو سيئه. وهذه الآية نظيرة الآية التي قال الله فيها تعالى ذكره: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 261]. وهكذا يتجلى لنا مما سبق، أن القرض كالصدقة " وأن فيه أجراً عظيماً، وهو وسيلة فاعلة لتحقيق التمكين الاقتصادي للأمة المسلمة.

الهبة: الهبة هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض فإذا كثرت العطايا بهذه الصفة سمي صاحبها وهابا وجوادا ولن يتصور الجود والهبة حقيقة إلا من الله تعالى فإنه الذي يعطي كل محتاج ما يحتاج إليه لا لعوض ولا لغرض عاجل ولا آجل²². ومن ثم، فإن "الإسلام لا يسمح بالثروة والغنى إلا بعد القضاء على الفقر والحاجة، بضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد. بمعنى أنه إذا عجز أي فرد يتواجد في مجتمع إسلامي، أيا كانت جنسيته أو ديانتته، أن يوفر لنفسه المستوى اللائق للمعيشة، بسبب خارج عن إرادته كمرض أو عجز أو شيخوخة، فإن نفقته تكون واجبة في بيت مال المسلمين أي في خزانة الدولة، و الإسلام لا يسمح بالتفاوت المطلق في الثروة والدخول، بحيث يخل بالتوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع ودول العالم، وإنما هو بالقدر الذي يحض على العمل ويوفر الباعث ويشجع المبادرة والإبداع، وبما يحقق

²¹ محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (مرجع سابق)، ج 5، ص: 283.

²² محمد الغزالي الطوسي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (قبرص: الجفان والجابي، ط 1، 1407 – 1987)، ص:

التكامل لا التناقض والتعاون لا الصراع، والإسلام لا يسمح أن تستأثر أقلية بخيرات المجتمع، بل أن يعم الخير الجميع. كما أنه لا يسمح كلية بممارسة أية صورة من صور الترف أو البذخ المفضي إلى البطر، ولا صرف المال في غير موضعه مما يسمى بلغة اليوم الإنفاق المبدد أو الاستهلاك الاستفزازي²³.

خاتمة:

يعتبر هذا البحث محاولة بحثية حول مفهوم التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم، ذلك أن الاقتصاد في المنظور الإسلامي، يحمل في طياته أبعاد أخلاقية نابعة من الأصل التوحيدي الذي يتأسس عليه، يهدف بالدرجة الأولى إلى ضبط السلوك الاقتصادي وفق معايير قيمية حددها القرآن والسنة، وتظهر هذه الأخلاقيات في تحقيق العدل، ونشر الخير وروح التعاون والتكافل الاجتماعي، فقد حرم الظلم والفساد في الأرض، وجميع أنواع الاستغلال الخبيث للثروات، التطفيف في الكيل والميزان، الغش، الخيانة، المعاملات الربوية، الاحتكار، الرشوة، الاختلاس، وغيرها من السلوكيات المنحرفة التي أوصدها الإسلام. وبالمقابل شرع الكثير من التشريعات التي تخدم الصالح العام، وتعزز أواصر التلاحم، وتحقق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الواحدة. منها تشريع الزكاة التي تقف على خط مضاد أمام التراكم الرأسمالي، فهي من الوسائل الفاعلة في محاربة الطبقية وتحقيق التوازن الاجتماعي بين الفقراء والأغنياء، ومحاربة الفساد والتضخم المالي بيد طبقة دون أخرى، وهي آلية ناجعة في القضاء على المعاملات الربوية، لأنها خطة اقتصادية لتنمية المال وزيادته بطريق إيماني يضرب المعاملات الربوية في الصميم، وأقر الإسلام الملكية الفردية و الملكية العامة ضمن ضوابط تخدم الصالح العام، وجعلها تتم في إطار استخلاقي، ذلك أن الإنسان مستأمن على مال الله، فهو مصدره الأصلي، وإن امتلكه الشخص، فيجب أن يتبع ضوابط أخلاقية في ذلك. وإن هذه التصرفات الاقتصادية هي جزء من الهدف العبادي الذي خلق الله الإنسان من أجله.

²³ محمد شوقي الفنجري، الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول (د.ن، د.ط، د.ت)، ص 114.

نتائج:

لقد توصلت الباحثة من خلال بحثها ان تحقق هذه الوسائل في المجتمع تدعوا إلى الترابط بين أفراد المجتمع، وتدعو كذلك إلى التعاون في وجوه الخير، وغير ذلك من السلوك الذي يتحقق به التمكين الاقتصادي، ونلاحظ ان احكام الخطة الاقتصادية مرتبطةً بجميع نواحي الحياة:

- 1- الجانب الروحية التي تمثل علاقة الإنسان بخالقه.
 - 2- الجانب الخلقية السلوكية: التي تمثل الصدق والأمانة والتراحم والوفاء في جميع المعاملات.
 - 3- الجانب الاجتماعية: التي تقوم على مبدأ المساواة والتكافل الاجتماعي.
 - 4- الجانب السياسية: التي تتمثل بالتزام الحاكم بالأصول الشرعية.
- بتحقق هذه الجوانب في الامة يتحقق لها التمكين، فالتوازن مطلوب في جميع نواحي الحياة ولا يمكن اغفال جانب معين او تهميشه.

References

- Ibn Rajab, 'Abd al-RaÍmĒn bin AÍmad. *JĒmi' al-'UlĒm wa al-×ikam*, Revised by: Shu'ayb al-'Arna'ĒĪ, and IbrĒhĒm BĒjis. 7th ed. BeirĒt: Mu'assasah al-RisĒlah, 1417.
- Ibn 'ÓshĒr, MuÍammad al-ÙĒhir bin MuÍammad. *Al-TaÍrĒr wa al-TanwĒr*. N.ed. TĒnis: Al-DĒr al-TĒnisiyyah, 1984.
- Ibn FĒris, AÍmad bin ZakariyyĒ. *Mu'jam MaqĒyĒs al-Lughah*. Revised by: 'Abd al-SalĒm MuÍammad HĒrĒn. 2nd ed. BeirĒt: DĒr al-JĒl al-JadĒd, 1999.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, MuÍammad bin AbĒ Bakr. *MadaĒrij al-SĒlikĒn*, Revised by: MuÍammad ×Ēmid al-FaqĒ. 1st ed. BeirĒt: DĒr al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2004.

Ibn ManzĖr, Muġammad bin Mukram. *LisĖn al-‘Arab*. N.ed. BeirĖt: DĖr IġyĖ’ al-TurĖth al-‘ArabĖ, 1993.

AbĖ al-QĖsim. ×Ėj ×amd. *Al-×Ėkimiyyah*. 1st ed. BeirĖt: DĖr al-SĖqĖ, 2010.

Al-Nadwah al-‘Ilmiyyah li al-RĖbiġah al-Muġamadiyyah. *Al-Qur’Ėn al-KarĖm wa Ru’yah al-‘Ėlam MasĖrĖt al-TafkĖr wa al-TadbĖr*. 1st ed. Morocco: Al-RĖbiġah al-Muġamadiyyah li al-‘UlamĖ’, 1436.

BalĖl, ‘Abd al-KarĖm. *Al-MafĖhĖm al-MiftĖġiyyah li Naġariyyah al-Ma’rifah fĖ al-Qur’Ėn al-KarĖm*. 1st ed. Virginia: Al-Ma’had al-‘ĖlamĖ li al-Fikr al-IslĖmĖ, 1436.

BĖdirĖ’, ‘Abd al-RahmĖn. *Al-KhitĖb al-Qur’ĖnĖ wa ManĖhij al-Ta’wĖl*. N.ed.

Al-BayġĖwĖ, ‘Abdullah bin ‘Umar al-ShĖrĖzĖ. *AnwĖr al-TanzĖl wa AsrĖr al-Ta’wĖl*. N.ed. Revised by: Muġammad Zuhayr al-ShĖwĖsh. BeirĖt: Al-Maktab al-IslĖmĖ, 1416.

Al-JurġĖnĖ, ‘AlĖ bin Muġammad bin ‘AlĖ al-Sayyid. *Al-Ta’rĖfĖt*. N.ed. BeirĖt: ‘Ėlam al-Kutub, 1996.

Al-×akĖm, Su’Ėd. *IġyĖ’ ‘UlĖm al-DĖn fĖ al-Qarn al-WĖġid wa al-‘IshrĖn, KitĖbatun Mu’Ėġirah li MawsĖ’ah al-GhazĖġĖ ‘IġyĖ’ ‘UlĖm al-DĖn*. 2nd ed. Cairo: DĖr al-ShurĖq, 2005.

×ulalĖ, ‘Abd al-RaġmĖn. *Al-Madkhal ‘IlĖ DirĖsah Al-MafĖmĖt al-Qur’Ėniyyah*. 1st ed. Syria: DĖr al-MultaqĖ li al-Nashr wa al-ÙibĖ’ah wa al-TawzĖ’, 1432.

DarĖz, ‘Abdullah. *DustĖr al-AkhlĖq fĖ al-Qur’Ėn*. N.ed. Revised by: ‘Abd al-ØabĖr ShĖhĖn. BeirĖt: Mua’ssasah al-RisĖlah, 2008.

DarĖz, Muġammad ‘Abdullah. *Al-Naba’ al-‘Azġm*. 1st ed. Cairo: DĖr ibn al-JawzĖ, 2013.

- Riġġ, Muġammad Rashġġ. *Tafsġġr al-Manġġr*. N.ed. Cairo: Al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Ōmah li al-Kitġġb, 1990.
- Zamrad, Farġġdah. *Mafhġġm al-Ta'wġġl fġġ al-Qur'ġġn al-Karġġm*. 1st ed. Morocco: al-Rġġbitah al-Muġammadiyyah li al-'Ulamġġ', 1435.
- Al-Sha'rġġwġġ, Muġammad Mutawallġġ. *Tafsġġr al-Sha'rġġwġġ*. N.ed. *Matġġbi' Akhbġġr al-Yawm*, 1997.
- Al-Shġġrġġzġġ, Nġġġir Makġġrim. *Al-Akhlġġq fġġ al-Qur'ġġn*. 2nd ed. Iran: Madrasah al-Imġġm 'Alġġ, 1426.
- Al-'Uabarġġ, Muġammad bin Jarġġr bin Yazġġd bin Khġġlid. *Jġġmi' al-Bayġġn 'an Ta'wġġl Ōy al-Qur'ġġn*. N. ed. Revised by: Maġġmġġd Shġġkir. Beirġġt: Dġġr Iġġyġġ' al-Turġġth al-'Arabġġ, 1421.
- 'Abd al-Bġġqġġ, Muġammad Fuġġd. *Al-Mu'jam al-Mufahras li Alfġġz al-Qur'ġġn al-Karġġm*. N. ed. Cairo: Dġġr al-Kutub al-Miġriyyah, 1364.
- 'Urġġbġġ, Ghġġzġġ. *Al-'Insġġn al-Kabġġr*. 1st ed. Damascus: Dġġr al-Ma'rifah, 1420.
- Al-Ghazġġġġ, Abġġ ×ġġmid. *Jawġġhir al-Qur'ġġn*. 1st ed. Beirġġt: Dġġr al-Maktabh al-'Aġriyyah, 1426.
- Ghalġġsh, Aġmad. *Da'wah al-Rusul, 'Alayhim al-Salġġm*. 1st ed. Beirġġt: Mu'assasah al-Risġġlah, 1423.
- Hossam Moussa Mohamed Shousha, The Role of the Heart in the Thinking Process: An Analytical Study), Journal of Islam in Asia, Vol 15 No 3 (2018) Special Issue: Integration of Islamic Revealed Knowledge into Humanities and Social Sciences.
- Qutub, Sayyid Ibrġġhġġm. *Fġġ Zilġġl al-Qur'ġġn*. N. ed. Cairo: Dġġr al-Shurġġq, 2008.

MÉlik, Faíl al-RálmÉn. *Al-MasÉ'il al-KubrÉ fÊ al-Qur'Én al-KarÊm*. N. ed. Lebanon: JadÉwil li al-Nashr, 2013.

Al-MuñahirÊ, MurtaîÉ. *Al-'InsÉn al-KÉmil*. 2nd ed. BeirÊt: Mu'assasah al-Bi'thah li al-ÛibÉ'ah wa al-Nashr wa al-TawzÊ', 1421.

Al-MawlÉ Bik, Muíammad AÍmad JÉd. *Al-Mathal al-KÉmil*. 1st ed. Cairo: MaÍba'ah DÉR al-Kutub, 1349.

Al-NursÊ, BadÊ'u al-ZamÉn Sa'Êd. *Al-ÔmÉn wa TakÉmul al-'InsÉn*. N. ed. Istabul: DÉR SÊzlar li al-ÛibÉ'ah wa al-Nashr, 1995.

BÉdirÉ', 'Abd al-RálmÉn. *Al-NaÍ al-Qur'ÉnÊ wa Manhaj al-SiyÉq*. Majallah al-TanzÊl, Vol.2. Morocco: Al-RÉbiñah al-Muíammadiyyah li al-'UlamÉ', 2014.

Al-BÉshÊkhÊ, Al-ShÉhid. *MafhÊm al-×ayÉh fÊ al-Qur'Én al-KarÊm*. Majallah ×irÉ', vol.17, 2009.

×ulalÊ, 'Abd al-RálmÉn. *Al-KitÉb: DirÉsatun MafÉhÊmiyyah Qur'Éniyyah*. Majallah al-TajdÊd, vol.21. Malaysia: IIUM, 1428.

'AbbÉdÊ, AÍmad. *Al-MinhÉjiyyah Muqawwimun min MuqawwimÉt al-QirÉ'ah fÊ al-Qur'Én al-KarÊm*. Majallah al-TartÊl, vol.2. Morocco: Al-RÉbiñah al-Muíammadiyyah li al-'UlamÉ', 2014.

LibdÉwÊ, Na'Êmah. *MafhÊm al-QirÉ'ah fÊ al-Qur'Én al-KarÊm*. Majallah al-TartÊl, Vol.2. Morocco: Al-RÉbiñah al-Muíammadiyyah li al-'UlamÉ', 2014.

Al-NadawÊ, 'AlÊ Al-×asan. *Al-'AqÉdah wa al-'IbÉdah wa al-SulÊk*. 2nd ed. Kuwait: DÉR Al-Qalam, 1983.